

## إدغار موران: أزمة المعرفة والحلول

## Edgar Moran: Knowledge Crisis and Solutions

داود خليفة<sup>1\*</sup>

k.daoud@univ-chlef.dz

<sup>1</sup>. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة حسيبية بن بوعلبي بالشلف – الجزائر

\*\*\*\*\*

تاريخ النشر: 2021/07/31

تاريخ القبول: 2021/02/20

تاريخ الإرسال: 2020/11/25

ملخص:

سعى إدغار موران في مشروعه الفكري لإعادة بناء المنظومة المعرفية بناءً جديداً من شأنه أن يساهم في حل الأزمة التي يعرفها العلم والمتمثلة في التبسيط والفصل والاختزال وهذه هي الأسس التي قامت عليها الاستيمولوجيا الكلاسيكية، ويمكن حل أزمة العلم بتأسيس استيمولوجيا حوارية منفتحة على عدد من المشكلات المعرفية الكبرى. تأخذ بالتعقيد والمركب والمتعدد الأبعاد في صلب المعرفة. نهدف من هذا البحث تحليل معالم أزمة العلم والحلول التي يقدمها إدغار موران، والمتمثلة بضرورة إصلاح الفكر. حيث وصلنا إلى نتيجة أن الأخذ بالمركب وإقامة حوار بين العلوم من شأنه أن يؤدي إلى إصلاح المنظومة المعرفية.

كلمات مفتاحية: الأزمة؛ الاختزال؛ الاستيمولوجيا، المعرفة؛ الأنموذج.

**Abstract:** Edgar Moran, in his intellectual project, sought to rebuild the cognitive system in a new structure that would contribute to solve the crisis known to science, represented in simplification, Disjunction and reduction, and these are the foundations on which the classical epistemology, the crisis of science can be solved by establishing an dialogical epistemology that is open a major cognitive problems, taking complexity and multidimensional complexity into the core of knowledge.

The aim of this research is to analyze the features of the science crisis and the solutions provided by Edgar Moran, which is the need to reform thought, where we came to the conclusion that the introduction of the boat and the establishment of a dialogue between the sciences would lead to the reform of the knowledge system.

**Keywords:** Crisis ; Reduction ; Epistemology; Knowledge; Paradigm

\* المؤلف المُرسِل: k.daoud@univ-chlef.dz

**مقدمة:**

وجد الفكر الكلاسيكي في هذه المنظومة سندا علميا له؛ عن طريق قيامه بتوحيد القوانين العلمية والاعتماد على التفسيرات الخطية السببية والبيانات الرياضية، (اختزال الظواهر فيما هو رياضي) فضلا عن تجزئة الكائنات المدروسة بين تخصصات معرفية عدة. وفي نظر إدغار موران فإن هذه المنظومة أدت إلى حجب تعقيد الواقع وشوهدت طبيعته المركبة، وهذه إحدى وجوه الأزمة التي عرفها العلم، من هنا فنحن بحاجة إلى إصلاح معرفي لمجابهة هذه المنظومة الاختزالية، والإشكال هنا: ماهي معالم الأزمة التي تعرفها المنظومة المعرفية في نظر إدغار موران؟ وكيف يمكن مجابهة هذه الأزمة؟

سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية انطلاقا من افتراضين نراهما أساسيين: الأول هو الإقرار بأن منظومة الاختزال القائمة الفصل والتجزئة والتبسيط التي تسيّدت في الفكر العلمي قد أدت إلى حدوث أزمة فيه. والثاني هو أن إصلاح المعرفة لا يكون إلا من خلال فكر مركب منفتح من شأنه أن يراعي التجميع وما هو معقد ومتعدد في أبعاده.

**1. أزمة المعرفة:**

عندما نتحدث عن أزمة العلم هنا؛ فإننا لا نشير إلى تلك الأزمة التي دأب الباحثون على تناولها؛ كأزمة الفيزياء مثلا، أو أزمة العلوم الإنسانية في سعيها للتطبيق المنهج التجريبي، أو أزمة تطبيقات نتائج العلم على الإنسان وتعارضها مع القيم الأخلاقية، وغيرها من الأزمات التي أخذت حيزها من البحث والتقصي. لكننا هنا نشير إلى وجه آخر للأزمة واجهها العلم المعاصر، والتي تناولها إدغار موران في الكثير من كتاباته ومقالاته، والتي إلى بعض معالمها كالتالي:

**1.1. الفصل وتجزئة المعارف**

والمقصود هنا الفصل بين المعرف وتجزئتها إلى تخصصات ضيقة، والتخصص الذي يعنيه إدغار موران هو ذلك التخصص المنغلق على نفسه، غير مندمج في إطار تصور كلي للموضوع أو داخل إشكالية عامة.

ومن المعلوم أن مبدأ الفصل يعمل على حجب الوقائع الشمولية والمركبة، فعلى المستوى الإنساني مثلا يعمل هذا المبدأ على فصل الإنسان وتجزئة أبعاده بين مختلف ميادين المعرفة المتخصصة، فيتناول تخصص البيولوجيا البعد الحيوي بما في ذلك

الدماغ، وتجزئة الأبعاد النفسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية بعضها عن بعض داخل حقول العلوم الإنسانية، وأغلقت الفلسفة داخل نفسها مع أنها تفكير تأملي إنساني شمولي<sup>1</sup>.

إن العلوم الكلاسيكية التي تستند على الدراسات المتخصصة\* قد ساهمت في تجزئة جوانب الإنسان الثقافية والبيولوجية وحتى الحيوانية، ويضرب إدغار موران مثلا عن ذلك الدماغ والدهن، فالأول موضوعا لعلم البيولوجيا والثاني يتم تناوله من خلال علم النفس، وكون الدماغ والدهن لا يقبلان الفصل بينهما، فإن للإنسان إذن جانبه البيولوجي والنفسي، ومن الضروري الأخذ بالهوية المزدوجة في الاعتبار. ويدرس الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ جانبنا الثقافي، وهي فروع معرفية ينبغي الربط بينها. أما الفنون والأدب، فإنهما يسمحان بالاقتراب من ذاتية الكائن وحياته اليومية وآلامه؛ وذلك ما لا تظهره العلوم.

إن وضع الحواجز بين التخصصات العلمية أحدث تفككا كبيرا على أصعدة عدة: ففرقت الفيزياء بين المعلومة والحوسبة والذكاء الاصطناعي. وفرقت البيولوجيا بين الجهاز العصبي والدماغ وتطوره. أما علوم الإنسان فقد فصلت وفرقت بين الألسنية وعلم النفس المعرفي والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والتاريخ، وفرقت كل من العلم والفلسفة بين المنطق والابستمولوجيا... وفي الوقت الذي كان ينبغي على هذه التخصصات أن تتواصل فيما بينها، فإننا نراها على العكس من ذلك تماما تتباعد وتتنابد<sup>2</sup>. والنتيجة أن الانفصال بين العلم والفلسفة – على سبيل المثال – قد أدى في نظر إدغار موران إلى جعل تصوراتنا حول العقل والدماغ محكومة إما بالتفكك أو الاختزال (اختزال العقل على أنه الدماغ)، حيث إن التفكك الذي ساد الثقافة الغربية

<sup>1</sup> Voir: Edgar Morin, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, éditions du Seuil, Paris, 1991, p18.

\* أظهر كشاف رابطة المدارس العليا الألمانية عن وجود أربعة آلاف (4000) تخصص علمي، وهذه الرابطة هي الممثل المهني للأساتذة الجامعيين بألمانيا، تأسست في 4 مارس 1850 بـ"هانوفر". وقد أظهرت هذه الرابطة أنه من الصعب الحديث عن نظام علمي أو ترتيب يداغوجي لتخصصات مثل هذا النظام، وإذا كان من الضروري وجود نظام علمي، فإن هذا المطلب سيقودنا إلى البحث عنه بين الفروع والتخصصات العلمية مجتمعة لا منفردة.

<sup>2</sup> إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، تز: جمال شعيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص 24.

منذ القرن السابع عشر قد وضع العقل في مملكة العلم وأخضعه بصورة صارمة للقوانين الآلية والحتمية للمادة، في حين أن العقل يعيش في اللامادية والإبداع والحرية في مملكة الفلسفة والإنسانيات. والحقيقة أن كلا المفهومين مهيمن ومُختزلًا: اختزال كل ما هوروحاني إلى المادة، أو اختزال كل ما هو مادي واعتباره منتجًا للعقل<sup>1</sup>. وبالتالي، فإن هذا التقسيم للمعرفة وتفتيتها أدبًا إلى انفصال رهيب بين العلوم الطبيعية وبين ما يسمى بالعلوم الإنسانية، والعلوم من وجهة نظرها تستثني الروح والثقافة من مباحثها مع أنهما هما اللذان ينتجان هذه العلوم نفسها.

ويرى إدغار موران، أنه لا ينبغي ترك المعرفة تفتتت بين المفاهيم الاختزالية التي يعززها كل اختصاص، حيث أضحت المعرفة منتوجا اجتماعيا عند عالم الاجتماع، أو منتوجا نفسيا عند عالم النفس، أو منتوجا دماغيا عند عالم الأعصاب<sup>2</sup>. والنتيجة التي يصل إليها إدغار موران أن التخصصات المعرفية الضيقة ليست إلا فصل الموضوع عن سياقه وشموليته، وفصل علاقاته وتفاعلاته مع محيطه داخل بناء معرفي مجرد يتعلق أساسا بمبحث مجزأ، يحطم بشكل اعتباطي نسقية علاقة الجزء مع الكل، ينتهي في نهاية المطاف إلى تجريدات رياضية صورية تفصل الظواهر عن ما هو محسوس<sup>3</sup>. وعليه فإن الرؤية القائمة على هذا مبدأ رؤية عمياء تشتت المركب إلى أجزاء مفصولة عن بعضها البعض، تضي الوحدة على ما هو متعدد في أبعاده.

## 2.1. العمى المعرفي والاختزال

يرى إدغار موران أن هناك حالة تمر بها المعرفة الإنسانية، تعرف بـ"مرض المعرفة" أو "باطولوجيا المعرفة" (La pathologie du savoir) وتتجسد هذه الحالة في «التبسيط الكبير الذي يحجب الأبصار عن رؤية تعقيد الواقع»<sup>4</sup>، يسمي إدغار موران هذه الحالة المرضية للمعرفة الإنسانية بـ"الذكاء الأعمى" (l'intelligence aveugle)، والذي من شأنه أن «يفصل المجموع عن السياقات التي يندرج تحتها، فأصبح بذلك عاجزا عن تصور

<sup>1</sup> Voir: Edgar Morin, La méthode: La Connaissance de la connaissance éditions du Seuil, Paris, 1986, p70 – 71.

<sup>2</sup> إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، مرجع سابق، ص 37.

<sup>3</sup> Edgar Morin, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leur organisation, p19.

<sup>4</sup> Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe éditions du Seuil, Paris, 2005, p 23.

المجموع لأنه تجزيئي تبسيطي، ومن ثمّ فهو غير قادر على إدراك الحقيقة التي يتواصل فيها الكل عبر صيرورة معقدة ومتشابكة»<sup>1</sup>.

إنّ العقل الأعلى - في نظر إدغار موران- يحطم المجموع والكل ويفصل كل موضوعاتهما عن بيئتهما، والعقل الأعلى لا يمكنه تمثيل كل التمثيلات بين الملاحظ والشيء الملاحظ. ومن شأنّ العقل الأعلى أن يغشي الأبصار عن رؤية التعقيد، والفكر المركب وحدهمّن يسمح بتحديث وتمديد معارفنا<sup>2</sup>.

لقد قدّر للفكر العلمي في العصر الكلاسيكي أن يخضع للتبسيط والاختزال والفصل والتجريد، تلك الخصائص التي يجمعها إدغار موران فيما يسمي بـ"منظومة التبسيط أو الاختزال" (Système de simplification / Réductionnisme)، التي حكمت الغرب وخطاباته، وبحكمها هذا قد شكلت اللاوعي الغربي في مساره الفكري. الأمر الذي جعله يوجّه سهام نقده لهذه الاستيمولوجيا الاختزالية، إذ أن «الصيغ المبسطة للمعرفة تشوه الوقائع أكثر مما تعبر علمها، ومن ثمّ فهي تنتج العي أكثر من مساهمتها في التوضيح»<sup>3</sup>.

إنّ النموذج المعرفي القائم على التبسيط والاختزال لا يسمح بحسب موران دائماً بالانفتاح على الأبعاد المركبة للواقع، فالمعارف الكلاسيكية غير كافية لاستنادها - من وحي ديكرتي - على منطق تبسيطي<sup>4</sup>، وبذلك يكشف هذا الأنموذج المعرفي عن حدوده وغير ملائمتها لطبيعة المعرفة المعاصرة، فلقد كشفت تطورات المعرفة العلمية المعاصرة أن الواقع أشدّ تعقيداً مما نتصور، ومن ثمّ فإنّ الاختزال القائم على الفصل والتجزئة والصورنة من شأنه أن يفرغ الواقع من التنوع المتعدد لأشكاله الذي يكشف عن طابعه المركب، وهذا الطابع المركب للواقع غير قابل إطلاقاً للتبسيط والاختزال.

<sup>1</sup> أنظر إلى: زهير الخويلدي، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن كتاب: الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي، من مركزية الحدأة إلى التشفير المزدوج، ج2، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص1408.

<sup>2</sup> Ibidem.

<sup>3</sup> Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe, op.cit, p10.

<sup>4</sup> Edgar Morin-Jeans Louis le Moigne, l'intelligence de la complexité, éditions l'Harmattan, Paris, (édition numérique), 1999, p53.

## 3.1. التناقض

إن نجاح الذي عرفه العلم بدءاً من غاليليو وصولاً إلى نيوتن يكمن في تجزئة النظم المعقدة إلى مكوناتها البسيطة لفهم كيف تتفاعل هذه المكونات بعضها مع بعض، حيث كان يتم تجزئة سلوك النظم إلى مكوناتها، والذي يسمح بمعرفة هذه النظم من خلال تحليل خصائص الأجزاء الأولية، فلقد كان «العلماء لما يواجهون نوعاً من التعقيد فإنهم وبشكل غريزي ينظرون إلى المكونات البسيطة للنظام وكيف تتفاعل هذه المكونات مع بعضها البعض، ثم ينتقلون للكشف عن القانون أو القوانين التي تحكم تفاعل هذه التفاعلات وسلوكها، بعد ذلك يحاولون الكشف عما إذا كانت هناك نظماً أخرى تتبع نفس القوانين، وهكذا»<sup>1</sup>.

وهنا يكمن التناقض في نظر إدغار موران، ففي الوقت الذي شهدت فيه المعرفة خلال القرن العشرين تطوراً خلاقاً في جميع ميادينها في إطار التخصصات وفضلها، فإنهم مقابل ذلك كان هذا التطور على حساب المعرفة نفسها؛ لأنه أدى إلى تراجع كبير وخطير على مستوى المعرفة لأن التخصص يلغي السياق ولا يهتم بالشموليات والمركبات. وهو ما أبرز عقبات كثيرة أعاقت ممارسة المعرفة المناسبة<sup>2</sup>. وهذه هي تراجيديا والتناقض اللذين تعيشهما المعرفة المعرفة حيث إن تقدمها هو سبب تراجعها، وهو في نفس الوقت التحدي الذي تواجهه المعرفة، وهو تحدي الربط لا الفصل، التجميع لا التفريق، التعقيد لا التبسيط...

## 2. من أجل معرفة ملائمة

يحدد لنا إدغار موران جملة من المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها المعرفة العلمية، وهذه المبادئ يمكن أن تضطلع بها التربية المستقبلية، وأهم هذه المبادئ نذكر:

1.2. السياق (contexte): تتحقق فعالية السيرورة المعرفية من خلال السياق الذي يحدد شروط دمج المعارف وحدود صلاحيتها، وكل معرفة تخلو من السياق أي معرفة قائمة على الفصل والعزل هي بالضرورة ناقصة. وعليه ينبغي وضع كل معلومة في سياق

<sup>1</sup> Ghislane Cleret De Langavant, bioéthique: méthode et complexité, Presses de l'universitaire de Québec, 2001, p 3.

<sup>2</sup> Voir: Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999, p 18.

ما ومجموعة ما، وعلى المعرفة أن تتموضع داخل السياق ليتحدد معناها. إن الكلمة مثلا تحتاج إلى النص ليكون لها معنى، فالنص هو سياق الكلمة، والنص بدوره بحاجة إلى سياق ليتمكن إنتاجه<sup>1</sup>. وفي هذا الإطار ينبغي النظر للعلاقة بين أي ظاهرة وسياقها والعلاقات المتبادلة بين الكل وأجزائه، وفي هذا اعتراف بالوحدة في التنوع وبالتنوع في الوحدة. انطلاقا من هذا الأسلوب المعقد يمكن تقويض صحة المعرفة الاختزالية.

2.2. الشمولي (Leglobal): الشمولي هو أكثر من السياق من حيث هو المجموع الذي يربط أجزاء مختلفة إما بعلاقة ارتدادية أو تنظيمية، فنجد في الكائن البشري وفي كل كائن حي ميزة حضور الكل داخل الأجزاء، إن الخلية تحمل مجموع المورثات الجينية للعضوية المتعددة الخلايا، وكل فرد يحمل المجتمع في مجموعته (معرفته ولغته وواجباته وضوابطه)<sup>2</sup>. وبالتالي فالشمولي لا يعني سوى تلك العلاقة بين الكل وأجزائه

3.2. المتعدد الأبعاد (Lemultidimensionnel): كل ما هو مركب هو بالضرورة متعدد في أبعاده، وعلى المعرفة أن تعترف بهذا التعدد في الأبعاد وتراعيه. فالكائن البشري ليس هو فقط جانب بيولوجي، أو نفسي، أو اجتماعي، أو عقلائي، بل هو كل ذلك معا. ولا يقتصر بُعد المجتمع على التاريخ، أو الاقتصاد، أو الدين، وإنما هو كل تلك الأبعاد مجتمعة. من هنا يستحيل ليس فقط فصل الجزء عن الكل وإنما فصل الأجزاء عن بعضها. فالبعد الاقتصادي مثلا يحمل في طياته كل الأبعاد الأخرى؛ حاجات ورغبات إنسانية تتجاوز حدود ما هو اقتصادي المحض<sup>3</sup>.

إن الاعتراف بتعدد أبعاد ظاهرة المعرفة وتعقيدها يتطلب في الآن نفسه الانتباه إلى التعقيدات والتشابكات وردود الأفعال التي تنتج المعرفة، بل وينبغي النظر أيضا إلى المفارقات والتناقضات التي تواجه هذه المعرفة. ويتطلب هذا كله - في نظر موران - فكر مركب يستطيع معالجة التشابكات والمفارقات وتعدد الأبعاد، مما يستلزم بدوره فكرا علميا تفاعليا حواريا هولوغراميا، يمكنه إقامة تواصل ضروريا بين مختلف الحقول المعرفية.

<sup>1</sup> إدغار موران، تربية المستقبل، تر: عزيز لزرقي - منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، البار البيضاء، ط1، 2002، ص35.

<sup>2</sup> إدغار موران، تربية المستقبل، ص 36 - 37.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص37.

4.2. المركب: يرى إدغار موران أن المعرفة السائدة حالياً هي المعرفة المجزأة حسب المواد، وغالباً ما تجعل المرء غير منتمياً للروابط بين الأجزاء والكلية، وينبغي أن تحل محلها معرفة جديدة قادرة على إدراك الأشياء في سياقاتها<sup>1</sup> إن المعرفة المعاصرة تضعنا أمام تحديات ما هو مركب، ومن ثمّ فهي منوطة بها إبراز تلك العلاقة بين الوحدة والتعدد، وحيث ما تمّ وصل مختلف العناصر المكونة للكل من اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية ووجدانية كان هناك مركباً. من هنا، كان من اللازم على المعرفة مواجهة ما هو مركب<sup>2</sup>. إن المركب باعتباره تلك العلاقة بين الواحد والمتعدد، والذي يتحقق من خلال ربط العناصر المكونة للكل وفق علاقة الترابط والتفاعل، ينبغي أن يعوض الفكر القائم على الفصل بين الأشياء واختزالها.

### 3.تنظيم المعرفة كحل لأزمة المعرفة

ينطوي تنظيم المعرفة على ضرورة مجابهة التشظي بين أقسام وتخصصات المعرفة المتعددة، وكسر الحدود بينها، لذلك يدعو إدغار موران في كتاباته إلى ابستمولوجيا جديدة\* تكون بديلاً للابستمولوجيا الكلاسيكية، وتنطوي هذه الابستمولوجيا الجديدة على إعادة تنظيم وبناء مختلف المعارف «معارف تستطيع استيعاب المشكلات الكلية والجوهرية عن طريق دمج المعارف الجزئية»<sup>3</sup> حيث إن المعرفة المجزأة إذا ما هيمنت فإنها تؤدي إلى العجز عن الربط بين الأجزاء والكلية، فعلى هذه المعرفة المجزأة أن تترك المجال لمعرفة تستطيع تمثل موضوعاتها داخل "المركب"<sup>4</sup> ولا يتحقق ذلك إلا بالانفتاح العلوم بعضها على بعض، وضرورة قيام علم تنظيم المعرفة الذي تنوط به "معرفة المعرفة" (La Connaissance de la connaissance)، في إطار ما يسمى بـ"الموسوعية" (Encyclopédie). كتعبير عن علاقة

<sup>1</sup> إدغار موران، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، تر: الطاهر بن يحيى، منشورات صفاق، بيروت، ط1، 2016، ص96.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 37 - 38.

\* يمكن أن نصف هذه الابستمولوجيا بأنها "ابستمولوجيا حوارية"، تمثل إطار عقلاني يفتح على العلوم، وتسعى إلى بناء النموذج المعرفي على أساس الحوارية بين الأنساق والتخصصات المختلفة، لذلك فهي ابستمولوجيا مفتوحة. ويبدو هذا تأثراً بـ"الفلسفة المفتوحة" التي نادى الابستمولوجي الفرنسي غاستون باشلار (1884 - 1962).

<sup>3</sup> Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, op, cit, p4.

<sup>4</sup> Réda Benkirane, La complexité: vertiges et promesses, Le Pommier, Paris, p21.



أفقية بين مختلف العلوم، والتي من شأنها أن تفتح حواراً بين العلوم الحقة والعلوم الإنسانية.

يدعون إدغار موران إلى "فكر مركب" كجزء لا يتجزأ من أنموذج التعقيد (Paradigme de décomplexité)، على اعتبار أن الفكر المركب هو مجموع العلوم: الفيزياء، البيولوجيا، الكيمياء، وعلم الاجتماع والآداب... التي ينبغي أن تتوحد معا في ابستمولوجيا واحدة هي ابستمولوجيا التعقيد. وهذا الأنموذج المعرفي الموحد يختلف عن فكر الحدائث الأوربية الذي قام على البساطة الديكارتية والاختزال والانفصال بين المعارف. يقول إدغار موران: «لقد طورت كل أبحاثي في اتجاه معاكس للتجزئة وتقطيع المعرفة، مدافعا من أجل إمكانية إعادة تجميع المعرفة، وذلك في الربط بين العلوم الفيزيائية والرياضية والعلوم الإنسانية، والعمل على إدماج الإنسان كموضوع للمعرفة وكعضو في نظام الطبيعة والكون»<sup>1</sup>.

يتحقق هذا المسعى بقبول تداخل كل حلقات الفكر والمعارف والعبرمناهجية (Transdisciplinarité)، حيث تنشأ الخططات المعرفية التي تتجاوز التخصصات الضيقة، بفضل التناهج (Interdisciplinaire) بين تخصصات مختلفة تتقاطع فيها علوم الفيزياء والأحياء وعلوم الإنسان مثل علم الاجتماع وعلم النفس بتخصصاتهم المتنوعة. في هذا الإطار، يشدد إدغار موران الأهمية على النظر في شروط إنتاج المعرفة ذاتها، شاجبا تفكك المعارف وانفصالها، فيرى إنه ينبغي على المعرفة في سعيها لبناء ذاتها أن تستند للسياق، للشمولي، للمركب وللتعقيد، ذلك لأن «المعرفة العلمية هي معرفة شديدة التنظيم ومؤسّسة على التعقيد. وهذا التعقيد يوضع المعرفة، يصقلها، ينظفها، يطهرها، ويعيدها إلى عناصرها الأساسية ويكشف تنظيمها الداخلي»<sup>2</sup>. ويعتبر هذا التعقيد الذي تتميز به المعرفة المعاصرة ويؤسسها ضربة موجبة لطموحات العلم الكلاسيكي الذي كان ينشد الوضوح والبساطة وتعزيز التجريد والاختزال، فيفكك الظواهر المعقدة لصالح مكوناتها البسيطة.

<sup>1</sup> إدغار موران، حوار مجلة علوم إنسانية الفرنسية، تر: عمر بيشو، مجلة فكر وقد (الالكترونية)، على الرابط:

[http://www.aljabriabed.net/n89\\_09bichou.htm](http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm)

<sup>2</sup> إدغار موران، المنهج / الأفكار: مقامها، عاداتها، وتنظيمها، تر: جمال شعيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012، ص300.

يتحقق هذا التنظيم للمعرفة بالتفكير في "معرفة المعرفة"، أي شروط إنتاج المعرفة المادية والبيولوجية والاجتماعية، بحيث "لا معرفة دون معرفة المعرفة"، فمعرفة المعرفة ضرورة أولى من المفترض أن تكون ضرباً من الاستعداد لمواجهة إمكانية الخطأ والوهم الدائمة التي ما تنفك تشوش التفكير البشري، لأن المقصود هو تمكين الفكر، كل فكر، من أن يعد العدة لكفاحه الحيوي من أجل التبصر<sup>1</sup>.

بمعنى لا يمكن استخدام الأفكار استخداماً جيداً ما لم نعرف أولاً كيف نخدم الأفكار، ينبغي الوعي بما يحكمنا حتى نتمكن من محاوره أفكارنا ومراقبتها مثلما تراقبنا، وإخضاعها لامتحان الحقيقة والخطأ<sup>2</sup>.

إن الاعتراف بتعدد أبعاد ظاهرة المعرفة وتعقيدها يتطلب في الآن نفسه الانتباه إلى التعقيدات والتشابكات وردود الأفعال التي تنتج المعرفة، بل وينبغي النظر أيضاً إلى المفارقات والتناقضات التي تواجه هذه المعرفة. ويتطلب هذا كله في نظر إدغار موران فكر مركب يستطيع معالجة التشابكات والمفارقات وتعدد الأبعاد، مما يستلزم بدوره فكراً علمياً تفاعلياً حوارياً هولوغرامياً\* يمكنه إقامة تواصل ضرورياً بين مختلف الحقول المعرفية.

إن النموذج المعرفي الذي وضعه إدغار موران ينطوي على إعادة تنظيم مختلف المعارف، بغية تجاوز الثنائيات الكلاسيكية (ذات - موضوع، عقل - تجربة، النظام - الفوضى... الخ)، وهذا التنظيم الجديد للمعرفة ينبغي أن يبني على إعادة النظر في شروط إنتاج المعرفة وفي العوائق المعاصرة التي تحول دون ذلك.

هذا المسعى يقع على الحدود بين الفلسفة والفيزياء وعلم الأحياء والعلوم الاجتماعية والانتروبولوجية، مما سيؤدي بالضرورة إلى التواصل بين كل الحقول المعرفية المجزأة،

<sup>1</sup> إدغار موران، تعليم الحياة: بيان لتغيير التربية، مرجع سابق، ص 95.

<sup>2</sup> إدغار موران، تربية المستقبل، مرجع سابق، ص 30.

\* المبدأ الهولوغرامي يعرف بمبدأ "الاحتواء المتبادل" ويعني ماثلة الجزء للكل، ويستخدم هذا المبدأ لتوصيف ظاهرة تخزين صورة ثلاثية الأبعاد. ويعرف إدغار موران بقوله: «الهولوغرامية هي صورة تضم كل نقطة فيها مجمل المعلومات المتصلة بالشيء الممثل، ولا يعني المبدأ الهولوغرامي أن الجزء داخل الكل محسوب، بل إن الكل داخل الجزء على نحو ما، إذ تضم الخلية مجمل المعلومات الوراثية، مما يتيح مبدئياً الاستنساخ البشري، والمجتمع بصفته كلا بثقافته، حاضر في ذهن كل فرد».

انظر إلى: Morin, Edgar, La méthode: L'humanité de l'humanité, éditions du Seuil, Paris, 2001, p349.

ضمن مفاهيم ومبادئ مفتوحة من التفكير ضمن إطار شبكي من أجل تنظيم المعرفة، يأخذ في الحسبان الفوضى والاضطراب والتناقض ومدى التفاعل بينها. وهكذا، يتبين أن إصلاح المعرفة لا يكون إلا على أساس التواصل بين العلوم والتخصصات التي تمّ الفصل بينها تقليدياً، فمسألة المعرفة هي قضية تنظيمية، تتحقق بصياغة حوار بين مختلف العلوم، مما يسمح بتفاعل أكبر بين العلوم. لأن غياب هذا التواصل وهذا التفاعل بين المعارف هو عقبة حقيقية أمام العلم المعاصر، والتفكير العلمي في عمومته.

خاتمة:

إن فهم وتحليل المشاكل المعرفية المعاصرة يتطلب أساليب منهجية جديدة وأدوات مفاهيمية جديدة تأخذ في الاعتبار التعقيد، المفارقة والتناقض. ذلك لأن التطورات الأخيرة في العلم كشفت الاضطراب، التناقض وعدم اليقين وتظهر اليوم بأنها جزء من المشكلة العامة للمعرفة العلمية، الأمر الذي يتطلب بالضرورة "إصلاح فكري"، حتى تتمكن من تنظيم المعارف لتحافظ على سياقها الشمولي والمتعدد الأبعاد والمركب، مما يمكننا من تمثيل مشاكل العالم ومعرفتها بشكل أفضل<sup>1</sup>. وكان فيلسوفنا إدغار موران واحداً من فلاسفة القرن العشرين الأحياء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح الفكر انطلاقاً من براديجم "التعقيد".

بيبلوغرافيا:

1. إدغار موران، المنهج / الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها، وتنظيمها، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.
2. إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة: أنثروبولوجيا المعرفة، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.
3. إدغار موران، تربية المستقبل، تر: عزيز لزرقي – منير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2002.
4. إدغار موران، تعلم الحياة: بيان لتغيير التربية، تر: الطاهر بن يحيى، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2016.
5. إدغار موران، حوار مجلة علوم إنسانية فرنسية، تر: عمر بيشو، مجلة فكر ونقد (الالكترونية)، على الرابط: [http://www.aljabriabed.net/n89\\_09bichou.htm](http://www.aljabriabed.net/n89_09bichou.htm) زهير الخويدي، تعقد الطبيعة البشرية عند إدغار موران، ضمن كتاب: الفلسفة الغربية المعاصرة: صناعة العقل الغربي، من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج، ج2، إشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.

<sup>1</sup> أنظر إلى: إدغار موران، تربية المستقبل، مرجع سابق، ص25.

1. Edgar Morin, Introduction à la pensée complexe éditions du Seuil, Paris, 2005.
2. \_\_\_\_\_ - Jeans Louis le Moigne, l'intelligence de la complexité, éditions l'Harmattan, Paris, (édition numérique), 1999.
3. \_\_\_\_\_, La méthode:La Connaissance de la connaissance éditions du Seuil, Paris, 1986.
4. \_\_\_\_\_, La méthode: Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs moeurs, leurorganisation, éditions du Seuil, Paris.
5. \_\_\_\_\_, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), 1999.
6. \_\_\_\_\_, La méthode: L'humanité de l'humanité, éditions du Seuil, Paris, 2001.
7. Ghislane Cleret De Langavant, bioéthique: méthode et complexité, Presses de l'universitaire de Québec, 2001.
8. Réda Benkirane, La complexité: vertiges et promesses, Le Pommier, Paris.